الشباب و تحديات العصر الاجتماعية

أ.د/ سعيد فكره ـ جامعة باتنة.

مدخل:

إن أثمن ما تملكه الأمم والشعوب هو الثروة البشرية، ذلك لأنها من أهم المرتكزات الأساسية لبناء المجتمعات، ومن أهم العناصر التي تضطلع بالتنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وهذا ما جعل الدول المتقدمة تولي الشباب بصفته عنصراً فعالاً، عناية جد فائقة لتحقيق أهدافها العامة والخاصة، كما سارت على المنوال نفسه الدول السائرة في طريق النمو.

والشباب هو القطاع المعتمد لدى كل الفعاليات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعلمية، وهو الذي يبني ويشيد، ويحافظ ويدافع عن كل ما هو من ثوابت الأمة، وفاعلياتها البناءة من أجل الحاضر والمستقبل، وفي الوقت نفسه لا يمكن إغفال القطاعات الأخرى التي تعيش مع الشباب، فلكل دوره ومسؤولياته في الاستخلاف في الأرض بكل ما في الكلمة من المعاني والأهداف.

وإن الشباب يعني العطاء الدائم، والإنتاج المستمر، والآمال المنتظرة، فالعطاء المتصاعد يتحقق في تنفيذ المهمات الصعبة، وتذليل المعوقات الشاقة، والتغلب بنجاح أمام التحديات الكبيرة الواقعة أو المتوقعة.

ومن أجل ذلك وجبت العناية بالشباب حتى باتت من الضروريات التي هي من مقاصد الشريعة وغاياتها النبيلة، وهذا يعني:

أولا: حفظه من مضلات الهوى، وبواعث الفتنة والفساد، والتيارات المضللة التي تغزو الأمة على الدوام.

ثانيا: تزويده بعوامل النشأة السليمة، وسبل التربية الناجحة، وأسس التقدم وقواعد النهوض، وسلوكات تنفيذ المسؤوليات بإيثار، وعلى الوجه الأكمل في البناء الحضاري الإنساني.

ومما لا ريب فيه أن الشباب المنحرف من جهة، أو المريض اجتماعيا أو نفسيا من جهة أخرى، أو المصاب في سلوكه وفاعلياته، يسبب للأمة أضرارا كثيرة في مجالات متعددة، تكون سببا في وقوف الأمة بحالة الرجل الذي يراوح في مكانه، إن لم نقل الذي يتراجع إلى الوراء بخطىً حثيثة.

أجل، فإن مسؤوليات الأمة كبيرة في مواجهة الواقع الذي يحياه شبابها، ويعيشه أفرادها في خضم من الظلمات المحيرة، تعمل جاهدة بكل ما أوتيت من قوة مادية ومعنوية، علمية وفكرية، للتغلب على المشكلات التي تجثو على صدرها وفي مقدماتها الاجتماعية منها التي تصيب الشباب في البيت، والشارع، والمجتمعات الشبابية التي تغذيها النوادي المنحرفة، أو وسائل الإعلام المضللة سواء منها المقروءة أو المسموعة أو المرئية. أو ما فرض عليهم مما يسمى ثمرات التقدم العلمي والتكنولوجي من خلال الشبكات العالمية التي أثّرت تأثيرا كبيرا على الشباب لما فيها من المفاسد التي تحمل في ثناياها الوسائل المغرضة المثيرة، ذات الدور الفعال في التأثير على الشباب من غير ضوابط ولا حدود ولا قيود.

ومن هنا يمكن أن نقول، بأن الأمة نبت فيها بعض المشكلات ذات التأثير على:

أ- العقيدة والإيمان ليخلو القلب من ركائز الإيمان، فيرتمي هذا المريض في أتون الشهوات، ويغدو أسيرا لدى المروّجين الذين يزينون له المفاسد والمنكرات، فيتقبل الشباب – أغلبهم - ذلك النفوذ الغربي المهيمن على المنتجات الفكرية المؤدية إلى التقاعس عن أداء الواجب فيؤثر عليه ليصاب بالانغلاق الفكري والانحلال الاجتماعي والركود والتأخر الاقتصادي(1).

ب – والتأثير على تماسك أفراد المجتمع بكل الوسائل الشيطانية التي تعمل على تهديم القيم الإسلامية والخلقية والاجتماعية، هذه القيم والمبادئ هي التي يدعو إليها الإسلام في كل وقت وحين، وهنا يعيش الشباب تناقضا بين ما يتعلمه في أمته من العلوم السليمة السوية، وما يزيِّنه له دعاة التغريب والفساد والضلال(2).

ج- وكذلك شاعت الأخطار، وعمت الأضرار، وتنوعت المشكلات فكان منها: الإدمان على المخدرات، وإثارة الغرائز الجنسية، وانحراف الأولاد، وما نجم عنه من تسرب مدرسي، وجنح، تطورت إلى جرائم، وهي مشاكل نفسية تحتاج إلى دراسة سوسيولوجية.

ومنها: البطالة والفقر والعجز مما جعل الكثير من الشباب يفكرون في الهجرة، وإلى جانب ذلك يعيش في قلة الباءة والتي تبعده عن الزواج لبناء الأسرة والخوف على المستقبل لغياب القياديات الباعثة في النفوس لأسس الحياة السعيدة الآمنة. وهذه المشكلات بحاجة إلى دراسات إسلامية ذات مناهج وطرائق وأهداف واقعية للحاضر وللمستقبل منطلقة من هدف إعداد وتكوين الإنسان الصالح للحياة.

ومنها: ما يتعلق بعوامل مثبطة، ودوافع مغرضة يتسبب فيها كل من الوالدين لسوء معاملتهما تارة، وتدخلها في شؤون الشباب تارة أخرى، ويلوح في الأفق ظاهرة العنوسة التي تتطلب عناية فائقة مبدؤها التربية على روح الإسلام ومقاصده، وغايتها جلب المصالح، ودرء المفاسد. ونستعرض فيما يأتي بعضاً من هذه المشكلات:

المبحث الأول: آفة الإدمان على المخدرات

كلنا يعلم بأن العدو عندما يتوجَّه لإفساد أمة من الأمم، فإنَّه يتَّجه إلى إفساد شبابها؛ ويكمن هذا الخطر ويستفحل عندما تندفع طاقات من الشباب لتعاطي المخدرات التي أصبحت مصدر قلق لما تسببه من أضرار وخيمة على الأفراد والمجتمعات، ولا تكاد توجد دولة من دول العالم لا تعاني من هذه الآفة الخطيرة، فالكل مستهدف من عصابات الاتجّار في المخدرات.

ولقد وصل الخطر درجة مخيفة لأن ضحاياها يتزايدون ويتساقطون في عدد من دول العالم وفي مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية.

أجل: إن مشكلة المخدرات وخيمة على شبابنا، فهي تهدد حياتهم وتقضي على أحلامهم لما يفرزه هذا الداء من دمار وهلاك لا يقتصر على المدمنين فحسب، وإنما يهدد الكيان الاجتماعي بكامله.

فهناك عدد لا بأس به من الشباب في سن الزهور حرموا من مستقبلهم الوظيفي، وحرموا من ممارسة حياتهم بصورة طبيعية لدرجة أنهم افتقدوا الحياة الطبيعية مع أسرهم، الأمر الذي أدَّى إلى تفكك الأسرة وضياعها. فهناك من المدمنين الذي حرم رؤية طفلته عند الولادة حيث كان في السجن وآخر فقد شقيقه الذي سقط أمامه عندما تناول جرعة زائدة فذهب الميت إلى القبر، والحي إلى السجن، وآخر يلوم أصدقاء السوء الذين جعلوه يخوض معركة المخدرات ليفقد مجده، المأمول.

والمآسي كثيرة حتى أصبحت الشغل الشاغل لرجال الأمن والقضاء من جهة، وعلماء النفس والاجتماع من جهة أخرى.

يقول أحد أساتذة علم الاجتماع: تُعَدُّ المخدرات والسموم البيضاء حتى أواخر القرن التاسع عشر آفة المجتمعات النائية سواء في الشرق أو في أمريكا اللاتينية، لذا كان من الطبيعي آنذاك أن نجد دولة مثل بريطانيا تتخذ من الأفيون تجارة رابحة لها، وعندما حاولت الصين أن تقف في وجه هذه التجارة قامت حرب الأفيون الأولى في الفترة من عام 1834م وحتى عام 1842م والتي انتهت بهزيمة الصين وتنازلها عن خسائرها في الحرب.

وعندما ابتليت الولايات المتحدة الأمريكية بآفة المخدرات دعت إلى مؤتمر دولي لدراسة وسائل محاربة الأفيون ومشتقاته. وكان مؤتمر شنقهاي الذي عقد عام 1909م نقطة البداية في طريق التعاون الدولي لمكافحة المخدرات.

وقد وضح المؤتمرون أن المخدرات تصيب الإنسان بالخمول وعدم الحركة، أو بطء الاستجابة وانعدام الشعور وفقدان الإحساس بأي وجه من أوجه الحياة. ويبرر متعاطو المخدرات والسموم البيضاء استخدامها بشكل مستمر بأنها تحدث لهم نوبات يدعون بأنها

تسمو بهم فوق محيط الواقع مما ينسيهم همومهم ومشاكلهم الخاصة، ولكن سرعان ما يزول تأثير المواد المخدرة ليعودوا إلى واقعهم الأليم، فيكون الصراع بين فعل المخدرات وواقعهم، يدفع المتعاطي ضريبتها وهي سمعته وراحته(3).

ويتفق علماء الاجتماع(4)، والنفس على أن تعاطي المخدرات والمؤثرات العقلية تسبب حالات نشاط وهبوط غير عاديين لخلايا الدماغ وأنسجة الجهاز العصبي المركزي وألياقه مما يتسبب في الهلوسة وردود الفعل التي تُلاَحظ على الفرد وهو في حالة تأثير المخدرات.

وقالوا: إن الدراسات النفسية والاجتماعية التي أجريت على مدمني المخدرات والسموم في جميع أنحاء العالم أجمعت على أن أهم أسباب تعاطيها ما يلي:

- الرغبة في تجريب كل شيء وتقليد الكبار، وهذه الرغبة وراء إدمان معظم صغار السن في العالم، على الكحول والمخدرات.

- التمرد والهروب من ظروف اجتماعية ومعيشية قاسية كانفصال الأبوين أو الشعور بالظلم واضطهاد الآخرين.

- الإقبال على المخدرات للعلاج من حالات نفسية أو الاعتقاد الخاطئ بأن للمخدرات أثراً في تنشيط الاتصال الجنسي.

- الهروب من ضغوط الحياة ومشاكلها العديدة.

فهذه الآفة تحتاج إلى دراسات عميقة وبحوث علمية أكاديمية في أيام دراسية أو ملتقيات وطنية أو دولية تتكاثف فيها جهود المربين والمصلحين على مختلف الأصعدة.

المبحث الثاني: مشكلة انتشار الطلاق.

المطلب الأول: بنى الإسلام الأسرة بالرباط المقدَّس على المودَّة والرحمة، التي تقوم على أساس من الحصانة العقدية، انطلاقاً من تكوين الشباب والشابات على التربية الإسلامية القائمة على المبادئ المثلى، والقيم السامية، والأخلاق الكريمة، وكل ذلك مستمد من المنهج الرَّبَّاني.

لقد ابتدأت التربية الإسلامية أولاً بتنشئة الأولاد منذ نعومة أظافرهم على الفضائل والتقوى، وفي الوقت نفسه حفظتهم ووقتهم من كل عوامل الفساد – التي أصبحت ميسَّرة هذه الأيام- ليقوى الوازع الديني عندهم ابتغاء مرضاة الله أولاً، وبناء الأرض وعمارتها بالعمل الصالح وليتجنبوا المغريات والشهوات، والغرائز العمياء والنفس الأمارة بالسوء.

واستمرت التربية الإسلامية في مسيرتها التربوية نحو كل من الرجل والمرأة فأمرت الرجل بالعفَّة والطهارة النفسية، والاستجابة لأوامر الشريعة ونواهيها في جميع مراحل حياته، قبل الزواج، وبعده.

وعندما يصبح زوجاً حمَّلته مسؤوليّات الأسرة (الزوجة والأولاد) على أحسن وجه، فالنفقة دائمة، والمعاشرة الطّيبة لا تنقطع، والمعاملة الحسنة واجب من الواجبات المقدَّسة.

وربّى الإسلام المرأة على طهارة النفس، وصيانة الفرج، فأمرها بالاحتشام والامتثال لأوامر الله عزَّ وجلَّ في السِّرِّ والعلانية متمسِّكة بالمسؤولية التي أنيطت بها نحو زوجها وأولادها ومجتمعها باعتبارها اللبنة الحساسة والأساس في المجتمع[5].

كل ذلك لبناء الأسرة بناء إيجابياً فعالاً، لما لها من كبير الأهميّة، والدَّور الفعَال في البناء الاجتماعي القويم.

وشرع الإسلام الأحكام والشرائع التي ترعى نظام الأسرة لتقوم قوية متينة متفاهمة متحابّة، فإن حدثت خلافات أو نزاعات فإن وسائل العلاج كفيلة بدوام الحياة الزوجية على المودَّة والرحمة، أما إذا لم تفلح هذه العلاجات فالفراق المقيّد بضوابط وأحكام.

المطلب الثاني: أسباب الطلاق.

وفي هذه الأيام انتشرت مسألة الطلاق حيث تمخضّت عنها الآثار والنتائج السلبية على الزوجين والأولاد والمجتمع، وقبل بيان هذه المشكلة وأخطارها حريٌّ بنا أن نلخِّص الأسباب، فبمعرفتها ينجح المصلحون والباحثون في علاج هذه الظاهرة وهي:

1-**أسباب نفسية**: وذلك عندما لا يتحقق لأحد الزوجين أو لكلاهما ما كان يؤمله من الزواج، عندما كان يعيش أحلام اليقظة في كثير من الحالات، فلا هي وجدت فارس الأحلام، ولا هو حظي بملكة الجمال، أضف إلى ذلك ما يتصف به البعض من العدوانية، والمزاج العصبي أو الأنانية والحقد على الآخرين، أو حبّ التسلط والرياسة.. فإذا وجدت هذه المنازع النفسية في الأسرة كانت سبباً من أسباب الطلاق.

2- **أسباب عاطفية**: حيث يتصف فريق من الناس بالتمتع بملذات الحياة والشهوات الدنيوية، وتحقيق الإشباع العاطفي، وكأن هذا الفريق لم يتلق التربية الإسلامية القائمة على الوسطية والاعتدال من غير إفراط ولا تفريط، ابتغاء حياة سعيدة آمنة مطمئنة.

وقد استغلت وسائل الإعلام الغربية هذه الناحية لتوقع الإنسان فريسة للعدوى، والغلوّ في الغريزة الجنسية، فيتمرد أحد الزوجين وربما الاثنان على الأخلاق لإشباع ميوله ورغباته في الوقوع في أتون الفواحش. ولربما فقد أحدهم الغيرة على زوجته باسم التحضّر والمدنية وكذلك قد تكون المرأة عمياء البصيرة فتقلِّد وتتَّبع بدافع المماثلة والمجاراة لما تراه في وسائل الإعلام تارة، ومحيط الواقع تارة أخرى.

3- **أسباب تتعلق بالتمايز الفكري** حيث ابتعد الزوجان عن شرط الكفاءة في الزواج الذي أصبح ضرورياً في هذه الأيام، فالأولى أن يكون الزوج مساوياً لزوجته أو أعلى منها منزلة علمية، حتى إذا كان الزوج في مقام علمي رفيع، بات من اللازم أن تكون الزوجة قريبة من مستواه العلمي، فإن انعدم اللقاء الفكري بينهما، فسيصابان بالملل والضجر فالخلاف فالفرقة.

وأكدّ علماء الاجتماع(6) على الاهتمام بالخلفية الثقافية والاجتماعية للزوجين، بدليل أن المتعلمين والمتعلمات أكثر نفوراً وكرهاً للطلاق.

4- **التغريب في المعيشة والسلوك**: وسبب ذلك الهجمة الإعلامية الشرسة التي سلطتها وسائل الإعلام في الغزو الفكري للمجتمعات الكثيرة وخاصة تلك السائرة في طريق النمو، مستخدمين في ذلك الوسائل الحديثة، ليبرهنوا لغيرهم أن التقدم والتمدّن مرتبط باتباع الغرب في كل مظاهر الحياة. ولهم في ذلك الأتباع والدُّعاة والمغرضون الذين ينالون منا نيلاً هدَّاماً، ومطلبهم في ذلك تغريب الرجل والمرأة في السلوك والعمل والخلق الهابط.

إنهم يقصدون تدمير الحياة الزوجية بإشاعة أمور خدّاعة ظاهرها التمدن والتقدم وباطنها السّم القاتل، ومن ذلك:

- المساواة بين الرجال والنساء.

- تشجيع المرأة على الاستقلالية في العمل والتمرّد على الواجبات الزوجية.

- التوجه باسم التحرر والتقليد لخروج المرأة على كل التقاليد الاجتماعية أسوة بالمرأة الغربية، كي تتحرر من القيم المثلى والمبادئ السامية والأخلاق الفاضلة، فما كان من جرّاء ذلك غير التبرّج والاختلاط، ومن ثمّ الفوضى الجنسية، والخيانة الزوجية.

فهذه الأسباب وغيرها تؤدي بالأسرة إلى حافة الخطر والهلاك، ونحن بحاجة ماسّة لتجنب هذه المخاطر، وإبعادها عن مجتمعنا لبناء أسرة مسلمة صالحة.

المبحث الثالث: مشكلة البطالة.

تواجه البطالة معظم دول العالم على اختلاف مستوياتها العلمية وتطلعاتها الاقتصادية، ونظمها الاجتماعية والسياسية، فلم تعد خاصة بالدول النامية أو دول العالم الثالث، وإنما تربَّعَتْ على ساحات واسعة من بلدان العالم.

وأصبحت مشكلة البطالة هيكلية على الرغم من تقدم ونمو عدد لا بأس به من دول العالم، فاحتلت مكانة ذات أثر سلبي في الدول التي تعاني منها. ومع وجود البطالة تفشل جهود التنمية، وتأخذ الديون الخارجية هيمنتها، وتنتشر الأمِّيَّة، ويتدنَّى مستوى التعليم، وبذلك يضعف الأداء الاقتصادي ولم يعد متوافقاً مع متطلبات الحياة وتقدم المجتمع.

وكأني بالبطالة أعجبتها شريحة الشباب في المجتمع ليغدوا وهم أكثر أفراد المجتمع عاطلين عن العمل حتى أصبحوا يمثلون نسبة عالية فيما لو قورنت بالنسبة إلى قوى اليد العاملة من الشباب، وبذلك أصبحت البطالة من أخطر المشكلات الاجتماعية والاقتصادية لما ينجم عنها من آثار سلبية تنعكس على الفرد والمجتمع معاً.

المطلب الأول: حقيقة البطالة وأسبابها.

البطالة في الاقتصاد الإسلامي، هي العجز عن الكسب (العمل) سواء كان بسبب أو بغير سبب، فتشمل كل الأشخاص العاطلين عن العمل، حيث إن كثيراً منهم لديهم الاستعداد والقدرة عليه، ولكنهم غير واجديه. فهي في الاقتصاد الوضعي تعني عدم توافر فرص العمل للقادرين عليه والراغبين فيه والباحثين عنه.

والبطالة – في عرف الاقتصاديين- أنواع منها: المؤقتة والعلمية والإرادية واللاإرادية، وكلها تترك آثاراً سلبية على التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وللبطالة أسباب منها المباشرة ومنها غير المباشرة، وعلى أية حال، فمن أهمها ما يلي:

أولا ـ الأسباب الداخلية: وهي التي ترتبط بالأسباب الداخلية للمجتمع أو نتيجة لعدد من العوامل المحلية المؤدية إلى إيجادها، وتتخذ صورا متعدِّدة تتعلق بالأشخاص الذي يكثرون من تغيير الحرفة أو النشاط الاقتصادي، أو الذين يرغبون في مهنة أو وظيفة معينة، فيقبعون في منازلهم مكتوفي الأيدي إلى أن يتسنَّى لهم ما يرغبون، ولو كان في ذلك توقف عن العمل مدة طويلة، كما أن التخلف الاقتصادي في الدول النامية يلعب دوراً كبيراً في رفع نسبة البطالة في المجتمع، وأحياناً عدم التلاؤم بين الانفجار السكاني وتوفر فرص العمل لهم، ناهيك عما يسبِّبه الفقر في تفاقم المشكلة.

ثانيا ـ الأسباب الخارجية: وهذه الأسباب ذات ارتباط وثيق بسابقتها وكأنها تفرز العديد منها: الديون الخارجية مع التمويل الخارجي لعدد من المواد ذات الصفة الاستهلاكية التي تتطلب مزيداً من الإنفاق المالي عليها من غير أي عائد اقتصادي على البلد، ويستمر ذلك مادامت الديون الخارجية قائمة. ومما زاد الطين بلة، هيمنة العولمة على اقتصاد الدولة بحيث تحولت الممتلكات العمومية نحو الخوصصة التي نظرت إلى الشغل ومعايير العمل نظرة رأسمالية ونجم عن هذه المعايير الرأسمالية اختلال في التوازنات الداخلية والخارجية لخدمة الرأسمالية على حساب العمل والاستثمار الوطني الذي أصبح في كثير من حالاته قنوات لفائدة راس المال الدولي، وهذه الظاهرة أدت إلى مزيد من ضعف النمو والتخلف الذي زاد من نسبة البطالة.

ومما زاد في تفاقم البطالة التقنيات المتطورة التكنولوجية والتي بوجودها استغني عن عدد كبير من اليد العاملة التي خرجت من قطاع الصناعة.

ولا ريب فإن هذه الأسباب – وغيرها - ساهمت مساهمة فعالة في تحجيم هذه المشكلة طوليا وعرضيا في المجتمع.

ثم إنَّ للبطالة آثاراً سلبية كبيرة على الفرد والمجتمع من الناحيتين المادية والمعنوية.

أما الآثار المادية: فتبدو في الصور الآتية[7]:

1- إهدار لإمكانيات وطاقات كان لها إسهام في الإنتاج والاستثمار فيما لو استخدمت في العمل، وهذا ما يساهم في ارتفاع معدلات التضخم من جهة وتناقص القوى الادخارية من جهة أخرى.

2- إهدار قيمة العمل البشري مما يؤدي إلى خسارة في الناتج القومي.

3- خفض مستويات الأجور، حيث يقبل العاطل عن العمل بأي أجرة ولو كانت قليلة، وهذا سبب في انعدام التوازن بين الأجور والأسعار وتكاليف الحياة، وكذا ظهور شلل في بعض القطاعات.

4- زعزعة انتماء البطالين للوطن، والتفكير في الهجرة منه إلى دول أخرى.

أما الآثار المعنوية فمنها[8]:

1- وجود الحقد والكراهية من العاطلين عن العمل تجاه الآخرين الذين يعملون ويزداد الحقد كثيرا نحو الأثرياء المنعمين المرفهين، وكثيرا ما يشكل البطالون جماعات العنف أو الجريمة، وذلك بسبب الفقر والضياع والفراغ والحرمان.

2- شعور بالحرمان، ومعاناة شديدة لما هم فيه من الثنية والانطواء ونظرا للفعل ورد الفعل يتجهون إلى المسكرات أو المخدرات بحيث يحصلون على أثمانها بالسرقة والغصب.. وهذا يؤثر على الأسرة التي تصاب بالتوترات العصبية والنفسية، وسوء التوافق بين أعضائها.

3- تأخر نفسي، وشلل فكري يؤدي إلى انخفاض في المستوى العقلي وإحساس بالعجز ليغدو بالتالي عالة على المجتمع، فلا فائدة ترجى منه.

4- فقدان الثقة بالمستقبل وعدم التمكن من تحسين الأوضاع، الأمر الذي يجعل البطال في كثير من الحالات تراوده أفكار سيئة، منها الانتحار. وبتعدَادٍ لما سبق يصاب البطال بـ:

- الشعور بعدم الأمن.
- الخوف من المستقبل الغامض له ولأسرته.
- الإسهام في تكوين عصابات أشرار تخطط وتنفذ الجريمة والانتحار.

- الخطر الكبير على الأسرة والمجتمع من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والنفسية والسياسية.

وفي هذا وذاك دعوة جادة فكرية ودينية واجتماعية واقتصادية لعلماء الإسلام، والنفس، والاجتماع، والإصلاح، لعلاج مشكلة البطالة وفي مقدمة ذلك:

- الدعوة الصادقة للعمل وبيان مكانته في الإسلام

- العمل الجاد لتحقيق التكافل الاجتماعي والعدالة الاجتماعية

- التعاون المثمر بين جميع القطاعات والشرائح الاجتماعية للقضاء على البطالة بمختلف الطرق، والاستفادة من الخبرات والحكمة.

المبحث الرابع: ظاهرة العنوسة(9).

شرع الإسلام الزواج سنة حميدة لتحقيق مقاصد شرعية، غايتها جلب المصالح للعباد، ودرء المفاسد عنهم، من النواحي الفردية والاجتماعية والخلقية، ولذا نظرت الشريعة إلى الزواج نظرة واقعية ومثالية معا.

فالواقعية تبدو وبإقرار ما يملكه الإنسان من غرائز متعددة تتطلب تلبية وإشباعا، والمثالية تظهر في تنظيم هذه الغرائز تنظيما مثاليا لتأدية الهدف الأسمى من ذلك.

وعند النظر في الخلق من البشر المتكون من الذكر والأنثى، وفي الغاية من ارتباطهما ببعضهما لبناء الخلية الاجتماعية الصغيرة (الأسرة) تتبين الحاجة الملحة لبعضها البعض، بحيث لا يمكن استغناء أحدهما عن الآخر، قال الله تعالى: ﴿**وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (الروم:21).

ومما هو معروف – طبيعة - أن الإنسان عند وصوله إلى مرحلة معينة من العمر، ويصبح قادرا على تكاليف بناء الأسرة، تظهر لديه رغبة ملحة إلى الزواج، لذلك يبحث عن السبل التي تسعفه من أجل تحمل الأعباء وتجاوز المعوقات كالتقاليد المضرة، والعادات البالية.

أجل فإن الشباب يصطدمون بعوائق تعيقهم غالبا عن تحقيق رغباتهم وآمالهم المنشودة حتى أن البعض من الجنسين يصلون إلى سن الخمسين – مثلا - وهم من غير زواج عازبون وعازبات، فيبقون محرومين من هذه السنة الإلهية.

ولا ريب في أن للعنوسة سلبيات ومخاطر تتحدى المجتمع – غالبا - فتؤثر فيه على الصعيد الفردي تارة والاجتماعي تارة أخرى.

والعنوسة هي أن يتجاوز شاب أو شابة سن الزواج وهما ينتظران الفرج فيتقدم العمر بهما حتى أنهما يصلان إلى مرحلة من العمر متقدمة لا يرغب الغير بالزواج منهما.

المطلب الأول: أسباب العنوسة.

أسباب العنوسة كثيرة منها ما يتعلق بالنواحي الاجتماعية، ومنها ما يتعلق بالنواحي الاقتصادية، ومنها ما يتعلق بالنواحي الثقافية والأخلاقية ونؤكد هنا أننا بالابتعاد عن المنهج الرباني في تكوين الأسرة، تصيبنا خسارة كبيرة تتعدى الأفراد إلى المجتمع، ونذكر من هذه الأسباب على سبيل الذكر لا الحصر ما يلي:

1 - عزوف الكثير من الطلاب والطالبات عن الزواج بحجة إتمام مرحلة الدراسة الجامعية أو ما بعدها، وبعد التخرج والبحث عن العمل يبلغ الواحد من الجنسين مرحلة متقدمة من العمر قد لا يجد أو تجد من يرغب به أو بها.

2 - الحالة المادية التي يكون عليها الرجل، فربما لا ترضى به امرأة تبحث عن غني، والعكس صحيح، وفي ذلك تعطيل الزواج.

3 - الطلبات والرغبات في أمور تتعلق بالشكل أو المظهر، بالحسب أو النسب، فلا هذا يجد ما يعيشه أثناء أحلام اليقظة، ولا تلك التي تؤكد على فارس أحلامها، وكأنهم نسوا أو تناسوا القاسم المشترك في الاختيار ألا وهو الدين والخلق.

4 - انعدام الرغبة في الزواج أصلا، لأعذار واهية يرفضها المنطق الحكيم، يتذرع الرجل بعدم القدرة على تحمل المسؤولية، كما تحتج هي بخسارتها لحريتها الفردية لأنها بزواجها تصبح أسيرة البيت وعاملة في تربية الأولاد وتقول إحداهن لربما كان قاسيا يعاملها بالقهر والجبر والحرمان.

5 - ما يتعلق بالنواحي الاقتصادية في المجتمع ومن ذلك:

أ- انتشار البطالة في المجتمع، فالرجل الذي لا يجد العمل يعزف عن الزواج.

ب- ارتفاع تكاليف الزواج بحيث أصبحت مرهقة لا يقدر عليها إلا من أوتي حظا وفيرا من المال والثراء.

جـ- ارتفاع المهور حتى وصل إلى حد المغالاة والتباهي بكميته ومقداره.

د- عدم توفر المسكن الملائم للزوجية لرغبة الزوجين في الحياة المستقلة.

6 -ما يتعلق بالنواحي الاجتماعية ومنها:

أ- رغبة الوالدين في التمسك بالعادات والتقاليد القديمة والحديثة ولو كانت فاسدة ومضرة.

ب- البعد عن الأمور الدينية التي تأمر بها الشريعة كحرمان الخاطب من رؤية الخطيبة عند المتطرفين الذين يتذرعون بما لا يقبله العقل الصحيح ولا العرف القائم ولا الدين الثابت.

جـ- تمسك الوالد بالابن أو الابنة، وعدم الموافقة على الزواج لأنه بذلك يفقد المصدر المالي الذي يخدم الأسرة.

د- ارتفاع النسبة المئوية لعدد النساء في المجتمع أو في بعض المجتمعات على نسبة الذكور.

7 - ما يتعلق بالنواحي الأخلاقية، والفساد الخلقي الذي له الدور الفعال لانتشار هذه الظاهرة، فقد كثرت العلاقات المحرمة في أوساط الشباب هذه الأيام بتأثير القنوات الفضائية المغرضة، والإعلام المقروء ودعاة الفجور والإباحية والاختلاط المشبوه الذي أوقع الكثيرين في جريمة السفاح.

وهذه الأسباب المؤدية إلى العنوسة أفرزت خطرا كبيرا على الفرد والمجتمع وغدت ناقُوسِ خطرٍ ينذر بشرٍّ مستطير اجتماعيا وخلقيا واقتصاديا، وليس هذا في مجتمعنا فحسب بل في مجتمعات كثيرة بنسب متفاوتة.

فعلى الصعيد الفردي: قد تؤدي بالفرد إلى الانحراف المؤدي إلى الجريمة.

وعلى الصعيد الاجتماعي: كثيرا ما يصاب المجتمع بالأمراض الفتاكة التي لم تكن معروفة من قبل، وهذا يسبب الخصومات والفرضى الاجتماعية وكذا الانحلال الخلقي الذي يدمر أسرا برمتها.

زد على ذلك العزوف عن إنجاب الأولاد والذرية، فما القول عن وجود أولاد غير شرعيين يغدون عبئا ثقيلا، ومصدر قلق للمجتمع.

وبالجملة يمكن اختصار أضرار العنوسة بما يلي:

- تعطيل سنة الزواج، وبالتالي تعطيل بناء الأسرة وتربية الأولاد، وبهذا التعطيل حرمان للجنسين من الحقوق والواجبات المشروعة.

- ولادة القلق والأمراض النفسية الباعثة على الانفجار، والتحدي السافر للأعراف والأخلاق الدينية والاجتماعية.

- ارتكاب المحرمات والفواحش استجابة لدواعي الغريزة العمياء التي لم يتوفر لها ما تتطلبه، فترتكب المحرمات المؤدية إلى ما لا يحمد عقباه.

العلاج: وهنا نجد الحالة هذه تدعونا لذكر العلاج ويكون ذلك:

1- بإزالة الأسباب على ضوء الشريعة والعقل والعلم، وذلك بناء على دراسات عقدية ومنهجية يقوم بها علماء الدين والاجتماع والتربية وعلم النفس.

2- الإكثار من حملات التوعية باستخدام جميع وسائل الإعلام والاتصال، وقيام جمعيات خيرية غايتها مساعدة الشباب على تكاليف الزواج وتسهيله لهم. كي نتجاوز هذه الظاهرة، وعندها يعيش الناس في أمن وأمان ومودة وإخاء.

المبحث الخامس: إفرازات التطور العلمي والتقدم التكنولوجي.

عرف الإنسان في هذا العصر العديد من التطورات العلمية والتكنولوجية، وبثت الدول المتقدمة الكثير من النظريات والأفكار التي نجمت عن أنظمة متعددة ثقافية وسياسية واقتصادية واجتماعية بادئ الأمر، ثم فخاخ العولمة التي تخطت بمبادئها حدود العقل والفكر، والدين والعقيدة، والثقافة والاجتماع.

وإن التقدم العلمي والتكنولوجي – في هذا العصر- رغم ما فيه من الفوائد المادية والترفيهية، قدم فرصا طيبة، ووفر مجالات واسعة للفكر والإبداع لم تكن متاحة للشباب من قبل، حيث ظهرت ظروف ومواقف جديدة يسرت للعديد من القطاعات الاجتماعية، عملية الإنتاج والإسهامات التنموية، حتى أن علماء النفس رأوا أن هذا التقدم العلمي كان سببا في تمكين الفرد بالانتقال السريع من عالم الطفولة إلى عالم الرشد والنضج الفكري والعقلي.

ولا يخفى علينا صورة تدفق الأبحاث المعلوماتية، وشيوع وسائل الاتصال والبرمجيات الإعلامية.. فكان لذلك الأثر الواضح على التربية والتنشئة التي - يجب - اغتنامها في تحسين حال الشباب ومستقبلهم.

وعلى الرغم من كل ذلك فإن هذا التقدم، يحمل في طياته مشكلات خطيرة، ومصاعب جسيمة، وأهوالا قاتلة لا ينجو من أخطارها إلا من رحم ربي..

فقد عقد مصالح الناس إلى حد بعيد، فصار بذلك ما كان فطريا لم يعد كافيا للعيش حياة كريمة وسوية.

ولنذكر على سبيل المثال ما تمخض سلبا عن جهازين من أجهزة الاتصال الحديثة وهما: التلفاز بقنواته الفضائية، والانترنيت.

أما التلفاز وقنواته الفضائية فإنه لعب دورا كبيرا في تدمير شريحة كبيرة من الشباب أثر على عقائدهم فأضلها وعلى أخلاقهم فأفسدها، ومع إيماننا بالفوائد الجمة التي نتجت عنه من حيث عدد كبير من الإيجابيات تبدو في الوظائف الآتية:

المطلب الأول: المظاهر

وهي: الوظيفة الإعلامية، الوظيفة التثقيفية، الوظيفة التربوية، الوظيفة الترفيهية، الوظيفة الاجتماعية.

إلاَّ أنَّ الجوانب السلبية التي نجمت عن البرامج التلفزيونية كان لها الأثر الكبير على حياة الناشئة والمراهقين الشباب تربويا واجتماعيا وصحيا ونفسيا ويبدو ذلك في المظاهر الآتية:

1 - الحد من المطالعة.

2 - زيادة العنف والجنوح بين الأطفال أولا ثم المراهقين الشباب ثانيا، ففي دراسة أجريت حول ذلك تبين أن معدل العنف قد ارتفع على الشاشة الصغيرة إلى 7.65% وبتفصيل أدق تبين أن الأفلام والبرامج المعروضة تقدم كل عشر دقائق فعل عنف واحد و3.7% من مشاهد العنف المؤذي في كل فيلم للأطفال و0.1% من كل فيلم بوليسي.

ومن هنا نقول بوجوب تدخل الأهل في الأسرة، والمربين في المدرسة لانتشال الشباب قبل وقوع الحوادث والاعتداءات، وكف العدوان بأي وسيلة كانت من الوسائل التوجيهية والإرشادية، ونقصد بذلك التربية الوقائية.

3- إثارة الغرائز الجنسية بتأثير المسلسلات الرديئة والتمثيليات الساقطة التي تبثها قنوات فضائية كثيرة بعدد من اللغات المنتشرة بين الناس وذلك يؤدي إلى الانحراف فالجنون وأخيرا الجريمة.

4- قلق الأهل على أولادهم وما يشعرون به من الحيرة والارتباك والاضطراب النفسي على سيرة الأولاد في الحاضر والمستقبل، سبب ذلك المشاهد الانفعالية، وأفلام (الكاوبوي) المثيرة، التي استطاعت تحويل الأولاد من ملائكة أطهار إلى لصوص خطرين ومعتدين آثمين.

أما الانترنيت التي جلبت بمغرياتها وتشويقاتها العديد من الاتصالات الجنسية المشبوهة، والألعاب الإجرامية الخطيرة والتي بعثت في المراهقين الشباب دوافع الجريمة، فأوقعت عددا لا بأس به من الشباب في جنح وجرائم لا تحمد عقباها.

ولا نذهب بعيدا إذا قلنا إنه سلاح ذو حدين، فإن أحسن استعماله فبها ونعمت، وإلا فالطامة كبرى والخسارة عظمى، لا في المادة والمال، ولكن في العقيدة والأخلاق والسيرة والمعاملة.

كان ذلك بسبب ما أقدم عليه تجار الصناعة الإلكترونية بتقديم موضوعات العنف سلعة تثير في الناشئة والمراهقين الشباب ما كمن من غرائزهم، وما خمد من ميول ضارة، وليست أخطار وأضرار الانترنيت كافة ببعيدة عن العقلاء اليوم بما يجري فيها من

منازعات واعتداءات وظلم يقع على الضعفاء، في الوقت الذي لم يعد لمالكيها سوى الكسب المادي نتيجة انفتاحها غير المحكوم أخلاقيا، لتحررها من القيود والضوابط الاجتماعية ببعد الرقابة عنها.

أقول: إن في هذه البرامج مجالا واسعا لإلقاء الشبهات المؤثرة على العقيدة، وما يجري من مناقشات إبليسية تجعل الفرد سريع التأثر بما يلقي إليه من شبهات بسبب ضعف ثقافته الدينية. حتى باتت برامج كثيرة، وموضوعات مخربة للعقول، تعظم القتلة، وتشيد بالسفاحين، مما جعل بعض المراهقين يقلدون المشهد ويطبقونه على الواقع مهما أدى إلى خسارة مادية وزهق للأرواح كما يحدث في دول العالم الأول الذي يدعي التمدن لا التحضر.

المطلب الثاني: وهذه التطورات تركت عند الشباب العديد من المشكلات النفسية الخطيرة المخيفة.

نذكر منها:

1- حالة فقدان الهوية وعدم القدرة على اكتشاف الذات والتعرف عليها: وغدا الشباب يتأرجحون بين عدم معرفة نفسه من جهة، وبين عدم معرفته لما يريد الآخر به.

2- حالة الاغتراب النفسي: بما أفرزته العولمة من نظم وأفكار هدامة، تجرف بسيولها كل ما يقف أمامها من قيم سائدة في المجتمع.

3- الشعور بالوحدة: حيث بان كثير من الشباب عاجزا عن الانفتاح وتكوين العلاقات الاجتماعية مع الآخرين.

4- كارثة الإدمان على المخدرات: التي عمت وشاعت واستفحل خطرها في أوساط شبابية لا في بلدنا فحسب، وإنما في عدد كبير من بلدان العالم بنسب مئوية مختلفة.

كل ذلك أضعف الوازع الديني، والخوف من الله تعالى، فأصبح عدد كبير من الشباب بعيدين عن توجيهات الإسلام، ومبادئه السامية فأطيح بهم في أتون الفساد والضلال وانحراف السلوك.

الخاتمة: الوصفة العلاجية.

نحن اليوم أكثر من أي وقت مضى بحاجة إلى التداوي والعلاج بدءا من التعريف بالخطر الداهم، وبيان السبل والطرق التي توجه وترشد، ومصدر هذا التقويم، إنما هو في التأكيد على التربية الإسلامية لأنها تغرس في القلوب عقيدة التوحيد، وأركان الإيمان التي تعين على إخلاص الوجه لله رب العالمين في كل قول وفعل وتصرف وسلوك ونية، وفي الوقت نفسه تحول بين العبد وبين ما يغضب الله عز وجل.

والتربية الإسلامية وسيلة ناجحة لترقية العقل، وتنمية الفضائل الدينية والأدبية والسلوكية القويمة، ومن ثم فإنها سبب مهم للإصلاح والبناء الاجتماعي المتكامل المتضامن.

وتهدف التربية الإسلامية إلى التربية الاجتماعية الهادفة ابتداء من الأسرة في غرس بذرة حب الوالدين، وتقوية الأواصر بين الأقارب وذوي الأرحام، ثم الجيران فأبناء المجتمع فالإنسان عامة، وذلك لأن الإسلام يدعو إلى الرابطة الإنسانية الباعثة على الألفة والمحبة والتعاون على البر والتقوى لتحقيق السعادة الإنسانية.

فلتأخذ التربية الإسلامية مكانها اللائق بها لتنشئة الأجيال تنشئة تربوية، وأن يقدم لها كل ما تحتاجه من جهود وتضحيات لينعم الناس بخيراتها.

وأقول: علينا بالانتباه إلى مشكلات الشباب، وتبصيرهم بحالتهم وواقعهم، وحسن الرعاية النفسية والفكرية والسلوكية، وتوفير الجو الأسري الذي يشيع فيه دفء المحبة، وحرارة الحنان، وصدق العاطفة، وغربة الأهواء، وصدق الميول كي يجد الشباب في محيطهم الرعاية والاحترام والثقة، وبعد ذلك العمل على إشاعة المبادئ الإنسانية والقيم الأخلاقية في هذا المحيط ممثلا في الأسرة والمدرسة والمسجد وكل البيئات الثقافية والإعلامية.

ومهمة ذلك تقع على عائق كافة المؤسسات الرسمية والشعبية، الدينية والاجتماعية، التربوية والتعليمية والثقافية، عليهم جميعا أن يهتموا بمشاكل الشباب بصورة أكثر جدية وفعالية، وأن يعملوا على إزالة كل ما يعترضهم من معوقات وما يعترضهم من مشكلات. وفي الوقت نفسه إشباع ما لديهم من حاجات ليتمكنوا من القيام بدورهم في الحياة.

وفي هذا المقام اذكّر بقول الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾(الطلاق:2-3)، وقوله: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا**﴾ (الطلاق:4).

الهوامش والمصادر:

(1) بناء الأمة ومواجهة التحديات، أ.د/ محمد أديب صالح.
(2) المجتمع والقرآن، المقدمة.
(3) مؤتمر دولي حول المخدرات عام 1909.
(4) ابن خلدون، المقدمة.
(5) علم اجتماع الأسرة، معن خليل عمر – المقدمة 202.
(6) المرجع نفسه.
(7) انظر: دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، د/ يوسف القرضاوي.
(8) المرجع نفسه، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، د/ يوسف القرضاوي.
(9) ملامح المجتمع المسلم، د/ يوسف القرضاوي.